

قبل نصف قرن من الزمان جولة راجلة حول العالم لكشاف موصلي!!

رعد احمد امين الطائي

الزمن والتاريخ والكل، يشهد على عراقة الحركة الكشفية في الموصل، وريادة مدينتنا العريقة لهذه الحركة في العراق منذ عشرينات القرن الماضي، ويشار الى رجال وقادة الحركة الكشفية الموصليون بالبنان كلما ذكرت هذه الحركة في حديث عابر، فمن منا لا يتذكر الحاج عبد العزيز مجيد الطالب، ومن يستطيع ان ينسى الحاج خلف عثمان، ومن يقوى على تجاوز اسم عبد الله فتحي، ومن بإمكانه القفز من فوق تاريخ الاستاذ حسن الحبار وحكمت الطعان وعبد الجبار المصري و و و... الخ.

لقد تحدثنا في عدد من الصحف والمجلات عن تاريخ هؤلاء المربين الافاضل وانجازاتهم وانجازات الموصل الحافلة بالتألق وحسن الادارة والتنظيم، الا ان هناك العديد ممن كانوا ضليعين في العمل ضمن هذا السلك الجليل الا انهم كانوا دائماً يعملون بصمت وبهدوء لا يبغون من وراء عملهم الا اعطاء دروس وعبر للاجيال القائمة آنذاك والاجيال اللاحقة في النشاط والعطاء والخلق الرياضي الرفيع.

واليوم، ارتأيت ان اصطحب القارئ العزيز عبر اضاءة موصلية اصيلة في جولة حول العالم قام بها احد جنود الكشافة المجهولين الذين طغت في اعماقهم اصالة الموصل وحب

الموصل واراد من خلال عمله هذا ان يُطلع العالم اجمع على اصالة هذه المدينة التي يمتد جذورها عميقاً ليسبر اغوار التاريخ، وليقول لقوس النصر في باريس بأن هناك صرحاً شاهداً على انتصار الموصل^(*) ينافسك في التباهي بالنصر على اعدائك، وليؤكد لبرج بيزا البعيد هناك في ايطاليا بأن هناك مشهداً في الموصل^(**) لو يتسنى لزوارك رؤيته لتأكدوا قدرة المهندسين الذين شيده، وليطلع كل المدن التي زارها في رحلته هذه بأن هناك مدينة جميلة طيبة تغفو على شواطئ دجلة الخالد تزاحمكم في طيبة اهلها ومحبتهم للخير وتنافسكم بجمالها وبما حباها الله من خير ونعم.

عزيزي القارئ الكريم: من الفعاليات الكشفية التي انتشرت في اوساط الشباب العراقي والموصلي على وجه التحديد في خمسينات القرن الماضي وستينياته هي ظاهرة (السائح الكشاف)، فقد حاول العديد من شباب الكشافة في الموصل بالقيام بجولات كشفية راجلة (جماعية وفردية) منها ما اقتصر على حدود المدينة واقضيتها ونواحيها البعيدة، ومنها ما يتجاوز حدود المدينة، كما كان هناك محاولات تجاوزت حدود الوطن في ستينات القرن الماضي وبالتحديد عام ١٩٦٧ عندما قام طالبان من جامعة الموصل ومن كلية الهندسة فيها وهما محمد جواد النعيمي وعبد الرحمن توفيق طالب بجولة شملت تركيا وبعض مدنها الحدودية مع اليونان.

(*)

(**)

وكانت هذه الظاهرة تقليداً او تطوراً للجولات الكشفية الراجلة التي اشتهرت بها فرق مدارس الموصل ايام زمان (عشرينات و ثلاثينات القرن العشرين)، ومن المدارس الكشفية المتميزة في هذا المجال في الموصل، آنذاك مدرسة دار النجاح—وقد تحدثنا عن احد جولاتها في عدد سابق – والتي قامت بأكثر من جولة من هذا القبيل شملت اقضية ونواحي بعيدة في لواء الموصل حيث كانت الفرقة تذهب بعيداً برفقة مديرها الاستاذ محمد نذير افندي الغلامي ومعلم مادة النبات والاجتماعيات عبد المجيد شوقي البكري ومعلم الرياضة عبد الله صالح، وعادة ما تكون الرحلة مفيدة جداً من الناحية العلمية والثقافية والاجتماعية والتاريخية وقبل كل شيء من الناحية البدنية والرياضية.

اما على صعيد الرحلات الشخصية فدعوني اصحبكم اليوم مع السائح الكشاف الموصلية (الاستاذ طارق محمد صالح) الذي قام بجولة حول العالم في عام ١٩٥٨ استغرقت شهرين، وتعالوا لنستمع منه شخصياً ان يقول: ((كنت قد عزمت على القيام بتلك الجولة منذ فترة ليست بالقصيرة، الا ان اموراً كثيرة كانت تحول دون ذلك مما يضطرنى للتأجيل، وفي عام ١٩٥٨ عزمت على القيام بجولة سياحية حول العالم تبدأ بالدراجة الهوائية ثم راجلاً على الاقدام، وقد قمت بالاتصال برئيس الكشافة في العراق حينذاك الاستاذ عبد الرزاق نعمان وطلبت منه بعض التسهيلات فزودني بهوية الكشافة الدولية واعلمني بأنه سيعلم مجلس الكشافة الدولي بمشروعي هذا، كما اتصلت بنادي الموصل الرياضي الذي تأسس قبل عام (١٩٥٧) على اعتبار انني احد اعضاء هذا النادي كرياضي وزودت ايضاً بهوية النادي ككشاف سائح، كان يدير النادي حينذاك الاستاذ محمد حديد مدير بنك الرافدين ورئيس

النادي الاستاذ صبحي علي يونس اغا الذي عرض علي مبلغ (٥٠) ديناراً كمساعدة لي في الرحلة الا انني اعتذرت عن قبولها وآثرت الصرف من نفقتي الخاصة)).

وفي هذا الصدد اكد لنا المرحوم الاستاذ احمد سامي الجلبي (رحمه الله) محرر صفحة الفتى الرياضية حينذاك انه قد ودع السائح الموصلني واتفق معه على ان يزوده برسائل وكارتات عن تفاصيل رحلته كلما حل في مدينة معينة وذلك لنشرها في حلقات في جريدة فتى العراق.

بدء الرحلة الماراتونية:

انطلق السائح الموصلني طارق محمد صالح في رحلته يوم الخميس ٤ / نيسان ١٩٥٨ مبتدئاً من مدينة الموصل باتجاه مدينة حلب السورية على دراجته الهوائية واهم ما تزود به هو عدد كبير من المطبوعات التي تعرف بالعراق وبمدينة الموصل التي انطلق منها، قطع شيئاً من المسافة ثم اكمل بالقطار الى حلب ومن هناك الى استانبول ثم ادنه ثم سالونيك فبلغراد ثم فيينا ثم سلك السائح طريق (Out stop) وتبع ذلك سير يوم كامل على الاقدام من فيينا الى سيبتال (مستشفى المانيا)، وقضى ليلة في بيوت الشباب عند الحدود الالمانية النمساوية، وكان سائحنا كلما حل في مدينة ما اخذ بالاستفسار عما يجول في خاطره عن ذلك البلد، ركب احدى الشاحنات بعد تدوين ما اخذه من معلومات وتزويد من قابله بخلاصات عن مدينة (النبي يونس عليه السلام)، في تلك الشاحنة وصل الى شتوتغارت ثم فرانكفورت... في فرانكفورت وفي محطة القطار قابل لفيف من الفتيات الالمانيات والنمساويات اللاتي قمن بقذف الزهور عليه احتفاءً بالسائح العراقي.

خلال تواجده في المدن التي زارها، لم ينس رسالته الرياضية التي يحملها فكان يزور الملاعب والمنشآت الرياضية ويدون تجارب الفرق وطرق تفاعل اللاعبين مع عملهم وممارستهم للرياضة، وقد حضر في احد الايام بعض الوحدات التدريبية لنادي (رابيد فينا Rabid Viana) والتقى بلاعبين مثلوا منتخباتهم الوطنية كثيراً ومدربين لمنتخبات اوربية عديدة، وابدى هؤلاء اعجابهم بالرحلة وبروح سائحنا الرياضية.

عندما وصل طارق الى (دورين Dorin) وهي اخر مدينة المانية على الحدود البلجيكية، ذهب مع احد السواح الذين تعرف عليهم وهو الماني يدعى (آيكا ايفر سمايل) الى بروكسل مشياً على الاقدام، وكان آيكا يشرح ويعرف طارق بالمناطق التي يمرون بها وهو يدون ذلك، وحين اقتربا من الحدود البلجيكية الالمانية اظهرا جوازيهما من بعيد فسمحوا لهم بالدخول بعد ان علموا بأنه سائح من العراق وقام بتزويد رجال الحدود ببعض المطبوعات عن العراق والموصل باللغتين العربية والانكليزية.

في بروكسل كان حينذاك يقام المعرض الدولي وتفاجأ سائحنا حين اقترب من المعرض ورأى العلم العراقي يرفرف مع باقي اعلام الدول، المشاركة (كان العلم العراق الملكي (العلم العربي))، ويصف لنا السائح المعرض وهو عبارة عن خمس كرات كبيرة، كل كرة عبارة عن كازينو كبيرة والخمس كرات تمثل قارات العالم الخمس ويقول سائحنا: "لقد شاهدت في المعرض العديد من الشواهد منها بعض الطائرات الهليكوبتر التي تعمل للاجرة تاكسي، وشاهد القمر الصناعي (سبوتنغ Spoting) الذي كان قد اطلقه الروس سابقاً، وصور الكلبة (لايكا Lyka) التي رافقت رجال الفضاء في رحلتهم الفضائية وتفاصيل الرحلة والمفاجآت التي حدثت فيها واشياء عن اسرار الفضاء وعجائبه.

قضى السائح الموصلني مع صديقه الالمانى اسبوعاً كاملاً في ارض المعرض، وكانت فرصة كبيرة لتعريف اكبر عدد ممكن من الناس الذين زاروا المعرض بالعراق والموصل لان الزوار كانوا من مختلف انحاء العالم. وكان من يبقئ هناك ينام الليل في احدى الخيم النموذجية التي افترشت مساحة معينة من ارض المعرض وهكذا فعل طارق وصديقه لمدة اسبوع. ثم قصدا معاً ميناء (اوستيندندOstend) البلجيكي ومنه الى انكلترا بحراً على متن السفينة (بوتBout) قاصدين الميناء الانكليزي (دوفرDover)، وبعد ساعات قضاها مع الانكليز في السفينة شارحاً لهم اهداف رحلته ومعرفاً اياهم بأهم مواقع العراق والموصل، وعندما لاح في الافق جبال كليف (Clief Mountains) على سواحل البحر (القنال الانكليزي) وقف الركاب الانكليز جميعاً رجالاً ونساءً لينشدوا معاً نشيد الترحيب بالجزر الانكليزية، وعندما ترحل "السائح من السفينة اصطحبه صديقه الانكليزي الذي تعرف عليه بالسفينة ويدعى (جونJon) بالاضافة الى الالمانى وتوجهوا معاً الى احدى الخيم الكبيرة في مدينة (دوفDove) الانكليزية وبقوا هناك ثلاثة ايام.

كان جون قد وضع سيارته هناك وهو اساساً من سكان لندن، يقول سائحنا "صعدنا في سيارته اوصلنا الى لندن وقصدنا معاً بيوت الشباب هناك ونحن في طريقنا صعدت معنا فتاة نمساوية، فغير جون وجهتنا حيث ذهبنا الى بيته في لندن وقضيت معه ثلاثة ايام، بعد ذلك اوصلني جون الى بيت يدعى (اوتين هاوسOttens house) وهو بيت معد لمبيت القرويين الانكليز السياح حيث قطعت تذكرة فيه لمبيت ٣ ايام وكان الثمن رخيصاً جداً". ويمضي قائلاً: "بعد ان ودعني صديقي جون وبقيت وحدي فكرت بأخي قيدير محمد صالح الموجود في لندن للدراسة في الكلية الملكية العسكرية البريطانية حيث كان الاول على دفعته

في العراق فأوفدته الدولة الى لندن، ساعدني البعض هناك واتصلت بالكلية العسكرية
وجاؤوا بأخي قيدار للقائي في السفارة العراقية هناك، طار فرحاً حين رأني وقام بتنظيم
عدة جولات لي ولم يبق مكان في لندن الا اراني اياه، قبل ان يودعني زودني بخريطة
(اندرکراونAnder Grawn) أي مسار القطارات تحت الارض كي يسهل على امور
رحلتي ككشاف سائح وساعدتني فعلاً للوصول الى ابعد نقطة في بريطانيا". ثم يقول: "عندما
لم يبق من نقودي الا القليل قفلت راجعاً وركبت مع احد مدرسي الرياضة هناك بسيارته
المكشوفة وذهبنا الى (دوفرDover) وجلسنا في كازينو جميل هناك تديره امرأة فرحت
جداً وصافحتني حين علمت انني عراقي، في رحلتي هذه كنت كلما دخلت مدينة اقدم طلب
للجهات المعنية لتزويدي بهوية لبيوت الشباب او ترخيص للمبيت فيها وعندما وصلت الى
بيت الشباب في دوفر متأخراً الساعة العاشرة والنصف ليلاً لم يفتح لي احد الباب وكان
الجو ضبابياً وبارداً جداً فقصدت البحر القريب وانا واقف فاذا بأحدهم يربت على كتفي
وهو احد الكشافين سألني عن وجودي هناك فأعلمته بالامر فذهب بي الى سفح جبل
حلزوني وكانت هناك خيماً عديدة واخبرني الرجل بان من هذا المكان كانت المدفعية
الانكليزية تضرب المدن الالمانية في ايام الحرب، وخبروني بان انام حتى الصباح في احدى
الخيام ففعلت ونمت حتى الصباح الباكر، قبل ايام كنت قد ابدلت ما بقي لدي من نقود
بعملة الباون لانه كان قوياً في حينها". ويسترسل بقوله: "عبرت الى كالييهKalee
الفرنسي وكان هناك تحصينات عسكرية تعرفت على اثنين من الانكليز وهم ديفيد
Daived وريمينReimen ذهبت معهم وخيمننا خارج اسوار احد بيوت الشباب اقتصاداً
بالمصروف وكنا قريبين من البحر، تذكرت حينها البصرة وشط والعرب حينما كنت معلماً

هناك وكيف كنا نسبح في شط العرب والسفن الراسية على بعد منا، وحينذاك عرضت على اصدقائي الانكليزيين السباحة حتى تلك السفن الراسية على بعد كيلومتر منا، الا انني توجست خيفة من الكوسج فلم نفعل، لم نتفق انا وصديقي للذهاب الى باريس فافترقنا هم الى المانيا وانا الى باريس، تعددت الوسائل ووسائل النقل حتى وصلت الى باريس وبينما كنت ماشياً واحمل حقيبة كان قد اهداني اياها احد الشباب في لندن وكان عليها علم بريطانيا فانزعج كل من رأني من الفرنسيين لكن احد اليوغسلاف استدرك الامر واخذني معه واوصلني الى السكة الحديد تحت الارض ومنها ذهبت الى برج ايفل وتمتعت برؤية قوس النصر في الشانزيليزيه، تقدمت مني احدى الفتيات الهنغاريات وسألتنني عن بلدي ومدينتي فزودتها ببعض ما تبقى عندي من مطبوعات عن العراق والموصل مشينا معاً وارادت منها ان تدلني على طريق (كان ونيس Can and Nees) وكيف استطيع الوصول اليها فتكلمت هي مع احدهم ورافقني واوصلني بعربته الى مكان قريب من نيس وفيه مزارع كبيرة يديرها افارقة، عندما سلكت من هناك الطريق الذي يؤدي الى كان ونيس وكنت راكباً في احدى الحافلات الصغيرة سمعت في حينها في النشرة الاخبارية خبراً مفاده انقلاب عسكري في العراق ومقتل الملك وعلان الجمهورية وكان ذلك في ١٤ تموز ١٩٥٨، قلقت كثيراً حيث لم يبق لدي الا القليل من الباون الاسترليني الذي لم يعد له فائدة، الامر الاخر ان اغلب اخوتي واقاربي ضباط في الجيش الملكي ومنهم ضباط في الحرس الملكي الخاص، بعد يومين دخلت الاراضي الايطالية واهتديت هناك الى سفارة مصر ولم تسعفني وبعد زهابي الى روما ذهبت الى السفارة العراقية هناك وقابلت القنصل العراقي وكان من بيت آل خضير وكان حزيناً جداً على اثر خبر الانقلاب، رحب بي وعرض علي المساعدة

فاتصل بمدير بنك روما واوصى بان احد العراقيين من اقاربي يريد ابدال او صرف الاسترليني، فزودني بالعنوان (Bank de italy) تفاجأ المدير الذي كان يعتقد انني من احد التجار العراقيين ولدي مبلغ هائل من المال لصرفه – تفاجأ بما املك من مال وهو بالكاد يوصلني الحدود العراقية، كانت عودتي سريعة اسرع من الذهاب لانني كنت متشوقاً للعراق، وصلت استانبول باحدى السفن التركية واسمها (ادنه) ومنها الى الحدود السورية العراقية ورأيت هناك عدداً من الضباط السوريين وبينهم كان احد اقاربي وهو (بشير الطالب) وهو ضابط عراقي فعندما رأني احتضنني وهكذا عدت الى الموصل وهي في عهد جديد – تركتها تحت الحكم الملكي وعدت اليها قد اصبحت من ضمن الجمهورية العراقية –.

الاستقبال في الموصل:

عند دخوله ارض الموصل تفاجأ سائحنا الموصلية بتلك القلوب التي كانت تهفو للقاءه وتلك النفوس المتعطشة لسماع اخبار رحلته وما جرى معه من امور وكيف جرت تلك الامور، كان استقبالاً كبيراً ومفرحاً، فضلاً عن اهله واقاربه والعديد من اصدقائه، كان بعض المسؤولين في نادي الموصل وعلى رأسهم الاستاذ محمد حديد مدير ادارة النادي آنذاك والصحفي الرائد احمد سامي الجلبي الذي كان يتابع الرحلة عبر رسائل وكارتات وصله حسب الاتفاق المسبق بينه وبين السائح وهو الذي نشر خبر عودة السائح الموصلية في ذلك اليوم، فضلاً عن العديد من العاملين في أنشطة الكشافة كمسؤولين او كشافيين في فرق كشفية موصلية، حُمل الموصلية طارق على الاكتاف احتفاءً بعودته حتى وصل داره.

توافدت الوفود الرسمية وغير الرسمية على دار طارق محمد صالح للاطمئنان عليه والاستفسار عن مدى الفائدة من تلك التجربة الرائدة والفريدة من نوعها في الموصل آنذاك، في يوم ٢٨ آب ١٩٥٨ كان نادي الموصل قد رتب لقاءً مع طارق محمد صالح وامام جمع غفير من الباحثين وذلك في مقر النادي قرب السجن القديم، وكان اعضاء الهيئة الادارية للنادي في مقدمة الحضور، وقد اعدت للسائح تكريماً بمناسبة عودته حيث القى السيد فتحي عبد المجيد سكرتير نادي الموصل كلمةً بالمناسبة القى فيها الضوء على شخصية طارق محمد صالح وروحه الرياضية التي يتمتع بها وبين بعض الامور التي سبقت القيام بالرحلة، ثم اعطى مكانه للسائح ليحكي بعض امور تجربته هذه والاهداف التي كان يصبو اليها وما تحقق منها فضلاً عن بعض ما شاهده من امور رياضية في دول متقدمة في هذا المجال ودعا الحضور الى توجيه اسئلتهم وفعلوا واجاب عنها بكل وضوح وقد استمرت الحفلة ساعتين ونصف الساعة وتم في نهايتها تقديم الهدايا التذكارية للسائح الذي استطاع بطريقته الخاصة ان يوصل صوت المدينة ورياضييها الى اجزاء بعيدة من العالم، فضلاً عن ايصال الصورة الحقيقية لمدينة الموصل وواقعها الرياضي بشكل مباشر مع رياضيي العالم.

بقي علينا ان نعرف ان سائحنا الموصل الرائد هو:

طارق محمد صالح يحيى الحسين العباس، ويعرف في الموصل بـ(طارق محمد صالح الرحو) من مواليد الموصل عام ١٩٢٩، عمل في سلك التربية والتعليم منذ عام ١٩٥٠ حين كان اول تعيين له في ١٣ ايلول ١٩٥٠ في مدارس مدينة الناصرية ثم انتقل الى مدارس محافظة البصرة، وبعدها نقل الى منطقة معارف الموصل وعمل في مدارسها العديدة، الحدباء، المثني، الاستقلال، وغيرها حتى تقاعده في عام ١٩٩٢، مارس الرياضة في اكثر

من فعالية منها الملاكمة وله نزالات معروفة وخاصة عند خدمته كمعلم في مدينة البصرة،
اذ استطاع في عام ١٩٥٣ من منازلة البطل الملاكم البصراوي المعروف محمد هامل في البصرة
واستطاع التغلب عليه مما نال شهرة واسعة في البصرة آنذاك. مارس السباحة في جرادغ
الموصل القديمة وخاصة عند تنظيم السباقات الخاصة بين الجرادغ ايام زمان، مارس ايضاً
الكمال الجسماني وقد اشترك في استعراض لبناء الاجسام مع الرياضي العراقي المشهور
الرباع عبد الواحد عزيز صاحب الميدالية الاولمبية التاريخية الوحيدة للعراق، وكان
الاستعراض المذكور في عام ١٩٥٠ في البصرة، عرفه اهل الموصل ورياضييها على وجه
التحديد بأخلاقه العالية وهدوئه المعهود فضلاً عن امتلاكه سيطرة على الكرة لا يملكها الا
ما ندر في الموصل ان لم نقل في العراق. ندعو من الله القدير ان يمد بعمر سائحنا طارق.